المحاضرة السّابعة التّجديد الشّعري المهجري

الأهداف الخاصة المراد تحقيقها:

1- أن يكون الطّالب قادرا على تحديد أسباب الهجرة من بلاد الشّام.

2- و أن يكون قادرا على بناء تصوّر عام حول الخاصيّات التّجديديّة للخطاب الشّعري المهجري.

تمهيد:

برزت حركة شعرية تجديدية يُشهد انتسابيتها إلى العصر الحديث، وتحدد ظهورها في أرض العم سام إنها القارة الأمريكية ذلك الطرف النائي عن أرض المشرق والمغرب العربيين، حيث هاجرت فئة من الشباب الأدباء إليها تحت تأثير مجموعة من الأسباب تاركين وراءهم بلاد الشام ليستقروا في كندا، وأمريكا الشمالية، وأخيرا أمريكا الجنوبية، عرفوا في الأوساط الأدبية بالمهجر الأمريكي، وبما أن هؤلاء الشباب المهاجرين كان منهم الأدباء فإنهم ساهموا في تفعيل نشاط الحراك الأدبي بأرض المهجر فأسسوا حركتين اتشحت بالطابع التجديدي على مستوى الخطاب الشعري، وعليه، ما هي أسباب الهجرة؟ فيما تمثلت تلك الحركات المهجرية؟ كيف كانت نشأتها؟ ومن هم أبرز شعرائها؟ وما هي أبرز مظاهر التجديد الشعري المهجري الحديث؟

أوّلا- أسباب الهجرة:

تعددت وتنوعت أسباب الهجرة إلى القارة الأمريكية، غير أن أبرزها قد تمثل في:

1- الإرساليّات التّبشيريّة: سعت الإرساليات التبشيرية إلى ترغيب الشباب العربي في الهجرة إلى أمريكا، وقد نشرت لهم الكتب التي كانت "تتحدث دائما عن الحرية والمساواة والمدنية والحضارة والثراء والثروات الطبيعية في البلاد التابع لها هذه البعثات..، فضلا عن أن أعضاء هذه البعثات كانوا يشجعون الآخرين من أفراد الشعب على الهجرة بما يروونه.. من حاجة بلادهم إلى أيد عاملة لاستغلال ثرواتها الطائلة"[1]، فوجدت هذه الدعوة صدى لدى هؤلاء الشباب فهاجروا واستقروا متوزعين في كل أرجاء القارة الأمريكية.

2-دور المهاجرين السّابقين: لم تنكر الدراسات في متونها جهود أبناء بلاد الشام الذين سبقوا بالهجرة إلى أمريكا، إذ غازلوا شباب الشام بالهجرة إلى القارة الجديدة، وهذا ما حصل مع الشاعر القروي الذي كان يراسله عمه اسكندر من أمريكا الجنوبية ويغويه بالسفر إليه.

3- الأوضاع العربيّة في بلاد الشّام:

كانت الأوضاع العربية مترديّة في بلاد الشام وعلى كل المستويات، فمن الزاوية السياسية نجد كبت الحريات من خلال تضيق الخناق على الشباب المثقف وذلك باضطهاد أقلام الأدباء والكتاب وكبت حريتهم في التعبير عن الظلم والعسف الذي تمارسه عليهم كل من السلطة المحلية التي يمثلها العثمانيون والسلطة الأجنبية التي يقودها الاستعمار الأجنبي. أما من الجهة الاجتماعية فمما يذكر: الفقر، والجوع، والأمراض، وانتشار البطالة، والأمية.. وأخيرا الجانب الاقتصادي حيث شهدت بلاد الشام هدم الاقتصاد المحلي واستبداله بالاقتصاد الأجنبي، وكذا تعطيل الإنتاجية الصناعية المحلية..، وبهذا كانت تلك الأوضاع الباعث على هجرة الشباب الشامي* صوب الآخر، ودليل ذلك شهادة شوكت محمود في دراسته لجماعة المهجر فقد أوعز سبب الهجرة إلى واقع الشباب الشامي المر "الذي أرغمهم في غالب الأمر على أن يشدوا رحالهم فرارا من الظروف القاسية التي كان يغص بها الوطن العربي في مطلع القرن التاسع عشر"[2]، ومما نشير إليه في هذا السياق هو أن شعراء المهجر لم يفوتوا عليهم فرصة تصوير تلك الأوضاع شعرا وذلك كنوع من التبرير لسبب الهجرة إلى تلك الأرض الجديدة.

ثانيا-النّشأة والأعضاء:

بالنسبة للرابطة القلمية اجتمع في نيويورك بعض أدباء المهجر في إدارة مجلة السائح لصاحبها عبد المسيح حداد، وباقتراح من هذا الأخير قرروا تأسيس حركة شعرية، وبعد عدة لقاءات ثنائية وجماعية تبلورت الفكرة لدى مجموعة من هؤلاء الرواد وأعلنوا تأسيس الرابطة القلمية في 20 من أبريل- نيسان 1920م، ثم ضبطوا مبادئ، وشعارات، وأهداف هذه الحركة الشعرية، وأخيرا إنشاء مجلة للرابطة. ضمت الرابطة القلمية تشكيلة منوعة من الشعراء منهم ندرة حداد، ورشيد أيوب، ونسيب عريضة، وعبد المسيح حداد، وميخائيل نعيمة، ونعمة الله الحاج، وايليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، ومسعود سماحة، ومحبوب الخوري، انتهت الرابطة القلمية عام 1931م.

أما العصبة الأندلسية فتعود فكرة تأسيسها إلى شكر الله الجر، فحين حضر إلى سان باولو بأمريكا الجنوبية اجتمع بعدد من الشعراء والأدباء وعرض عليهم فكرة تأسيس حركة شعرية فرحب جميع الشعراء بذلك، وكان من بين الحضور الشاعر الأديب ميشال معلوف الذي قرر أن يدعم الحركة الشعرية المهجرية الجنوبية رعاية وإنفاقا، وتم الاجتماع التأسيسي في مسكن ميشال معلوف في الخامس من شهر كانون الثاني لعام 1932، وأطلق على الحركة مسمى العصبة الأندلسية، حددوا لها أهدافا، ومبادئ، كما أسسوا لها مجلة سميت بالعصبة سنة 1935م. ضم المهجر الجنوبي شعراء متوزعين على مناطق مختلفة من أمريكا الجنوبية، منهم شفيق المعلوف، ورياض المعلوف، وجميل المعلوف، وفوزي المعلوف، والشاعر رشيد سليم الخوري المعروف بالقروي، والشاعر قيصر سليم الخوري وهو شقيق القروي، وإلياس فرحات، ونعمة قازان، وحبيب مسعود، وتوفيق ضعون، وجورج حسون معلوف، وشكر الله الجر، و أخوه فضل الله الجر، وعقل الجر، ومن المكسيك الشاعر محبوب الخوري الشرتوني، أما من كندا فالشاعر محمد مسعود، ومن الأرجنتين جورج صيدح، وزكي قنصل، و إلياس قنصل ..إلخ. انفرط أمر العصبة الأندلسية سنة 1954. اهتمت الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية بنشر شعر الشعراء المهجريين ، والنهوض بالشعر العربي.

ثالثا–مظاهر التّجديد الشّعريّ المهجريّ:

1. التّجديد على مستوى الثّيمات:

مس التجديد المهجري ثيمات الخطاب الشعري الحديث فتحدثوا عن النزعة الإنسانية، واللجوء إلى الطبيعة، وشعر الغربة والحنين إلى الأوطان، والشعر الوطني، والقضية الفلسطينية، والوحدة العربية، والقومية العربية..، ومما نختار الحديث عنه:

أ– الشّعر الوطنيّ:

يعد الشعر الوطني من أهم الثيمات التي تغنى بها شعراء المهجر وقد عالجوا الوطن من عديد زوايا، فمنهم من وقف متغنيا بحب وطنه ومن ذلك ما نظمه إلياس فرحات وإيليا أبو ماضي، فعلى الرغم من كون الشاعر الأول من العصبة الأندلسية والثاني من الرابطة القلمية إلا أن التغني بحب الوطن لا يعرف التقسيمات طالما أن الوطن للجميع، والدليل الشعري على ذلك ما اقتطعناه من قصيدة الشاعر إلياس فرحات، حيث يقول:

وَطَنِي حَبَبْتُكَ سَيِّدًا وَمَسُودَا وحَبَبْت أَهْلَكَ عَوْسجًا ووُرُودَا

أبْغِي لَهُم رُتَبَ العُلَى ولَوْ أنَّهُم تَخِذُوا عَلى جَسَدِي الطَّرِيقَ صُعُودَا[3]

أما الدليل الثاني فهو للشاعر إيليا أبو ماضي، ومما جاء فيه:

مِثْلَمَا يَكْمُنُ اللَّظَى فِي الرَّمَادِ هَكَذَا الحُبُّ كَامِنٌ فِي فُؤَادِي

لَسْتُ مُغْرًى بِشَادِنٍ أَوْ شَادِ أَنَا صَبٌّ مُتَيَّمٌ بِبِلادِي

يَا بِلادِي عَلَيْكِ أَلْفُ تَحِيَّهْ

هُوَ حُبٌّ لا يَنْتَهِي وَالمَنِيَّهْ لا وَلا يَضْمَحِلُّ وَالأُمْنِيَّهْ

كَانَ قَبْلِي وَقَبْلَ نَفْسِي الشَّجِيَّهْ كَانَ مِنْ قَبْلُ فِي حَشَا الأَزَلِيَّهْ

وَسَيَبْقَى مَا دَامَتِ الأَبَدِيَّهْ[4]

ومن الشعراء المهجريين من سجل وقوفه إلى جانب الوطن في مآسيه التي حلت بأبنائه، ومن ذلك ما أصاب لبنان من فجائع نتيجة الحرب العالمية الأولى فقد مات من أبنائها الكثير وفي هذا السياق يستجمع نعيمة قواه ليخاطب إخوانه اللبنانيين مواسيا إياهم في مصيبتهم وإن كان متواجدا بأمريكا الشمالية، فكانت هذه المشاركة الوجدانية عبر الخطاب الشعري دليل على إطلاع نعيمة بكل ما يحصل في الوطن، إذ الغربة لم تنزع عن الشعراء المشاركة في حب الوطن والإحساس بأوجاع المواطن اللبناني أنموذجا والشآمي على وجه العموم، وفي هذا الصدد يقول نعيمة أحد شعراء الرابطة القلمية:

أَخِي إِنْ ضَجَّ بَعْدَ الحَرْبِ غَرْبِيٌّ بِأَعْمَالِه

وَقَدَّسَ ذِكْرَ مَنْ مَاتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أَبْطَالِه

فَلا تَهْزِجْ لِمَنْ سَادُوا وَلا تَشْمِتْ بِمَنْ دَانَا

بَلْ ارْكَعْ صَامِتًا مِثْلِي بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَام

لِنَبْكِ حَظَّ مَوْتَانَا[5]

كما ارتبط ذكر الأوطان بتعريج شعراء المهجر على ذكر سوء الأحوال في بلاد الشام وعلى كافة الأصعدة طالما أن تلك الأوضاع هي ما دفع بمجموع الشباب إلى الهجرة مخلفين أوطانهم وراء ظهورهم فكان "يبدو هذا الفساد في مظاهر عدة تابعها الأدب المهجري والشعر منه بصفة خاصة ولم يتهاون لحظة واحدة في مناهضتها وفضح عيوبها والمطالبة بتغييرها وكانت الحكومات القائمة في الوطن هي أول ما صب عليه الشعراء جام غضبهم"[6]، كما لم يغفل الشعراء عن قضية التدخل الأجنبي في شؤون الوطن وكذا الامتيازات الأجنبية داخل التراب الوطني، فضلا عن الحروب والمجاعات والصراعات بين أفراد الشعب الواحد ولبنان أنموذج ذلك الصراع وتبقى مذبحة جبل لبنان خير دليل على ذلك في الوقت الذي تغافلت فيه الحكومة عن إصلاح ذات البين، وإنّ هذا وغيره يمكننا تلمسه في النسيج الشعري المنسوب لشكر الله الجر، حيث يقول:

لُبْنَانُ كَيْفَ غَدَتْ رُبُوعُكِ بَعْدَمَا عَصَفَتْ رِيَاحُ البُؤْسِ فِي أَصْلابِهَا

أَوْدَى الدَّخيلُ بِزَهْوِهَا ونَعِيمِهَا وَمَضَى الزَّمَانُ بِحُسْنهَا وَخضَابِهَا

اللَّيْثُ مَغْلُولُ اليَمِينِ مُكَمَّمُ مَنْ ذَا تَرَاهُ يَذُودُ شَرَّ ذِئابِهَا

مَا القَيْدُ فِي غِلِ اليمِينِ وَإنَّمَا فِي أَنْ يُكَمَّ الحُرُّ مِنْ كُتَّابِهَا

لَعِبَ الشَّقَاءُ بِأَهْلِهَا فَتَفَرَّقُوا فِي الأَرْضِ بَيْنَ شُعُوبِهَا وَشِعَابِهَا

فَغَدَتْ مَنَاخًا لِلغَرِيبِ وَمَوْطِنًا وَغَدَا بَنُوهَا النُجَّبُ مِنْ أَغْرَابِهَا[7]

ب-**القوميّة العربيّة:**

تغنى شعراء المهجر بالقومية العربية، هذه الأخيرة جعلت بعض الدارسين لا يجدون غضاضة في نعت بعض الشعراء بها بل يتخذون منها اسما لهم، ومن ذلك ما حدث مع الشاعر القروي الذي قال في حقه صلاح الدين الهواري: "لا أرانا نبالغ إذا عددنا القروي شاعر القومية العربية في القرن العشرين، ونحن نجد في شعره من تقديس للعروبة، ودعوة إلى الوحدة العربية، وحض للعرب على الكفاح ضد الاستعمار"[8]، وإن هذه القومية العربية هي التي جعلت إيليا يضع كلا من مصر ولبنان في ميزان واحد فيتغنى بحب مصر وجمع ذلك في قصيدة مهجرية واحدة مع التغني بحبه لوطنه الأم لبنان ولا تؤلف بين مصر ولبنان إلا العروبة، يقول إيليا:

قُلْ لِلحَمَائِمِ فِي ضِفَافِ الوَادِي يَا لَيْتَكُنَّ عَلى شِغَافِ فُؤَادِي

لِتَرَيْنَ كَيْفَ تَبَعْثَرَتْ أَحْلامُهُ وَجَرَتْ بِهِ الآلاَمُ خَيْلَ طِرَادِ

وَطَنَانِ أَشْوقَ مَا أَكُونُ إِلَيهِمَا مِصْرَ التي أَحْبَبْتُهَا وَبِلادِي

وَمَواطِنُ الأَرْوَاحِ يَعْظُمُ شَأنُهَا فِي النَّفْسِ فَوْقَ مَوَاطِنِ الأَجْسَادِ

حِرصِي عَلَى حُبِّ الكِنَانَةِ دُونَهُ حِرْص السَّجِينِ عَلَى بَقَايَا الزَّادِ[9]

ولتحقيق فكرة القومية العربية أشاد المهجريون بفكرة العروبة ففي نظرهم أفضل الأصوات التي يمكن للأوطان العربية أن تتكلم بها هو صوت العروبة ولهذا نجد في الخطاب الشعري المهجري الشمالي والجنوبي على حد سواء التغني بالعروبة، ومن الشواهد الشعرية التي نقرأها في هذا السياق قصيدة القروي، والتي يقول فيها:

إنِّي لصَدَّاحُ العُرُوبَةِ طَابَ لِي شَدْوِي عَلَى سَرَوَاتِهَا وَتَنَقُّلِي

وَوَقَفْتُ أَلْحَانِي عَلَى المَجْدِ الذي أَبْلَى الزَّمَانُ مَعَ العِظَامِ وَمَابَلِي

رَوَّى شَقَائِقَهُ وَضَرَّجَ وَرْدَهُ مُهَجٌ تَسِيلُ عَلَى شِفَارِ الأَنْصُلِ

شُهَدَاؤُهُ مِلْءُ البِلادِ فَأَيْنَمَا يَمَّمْتُ لِي قَبْرٌ يُزَارُ وَلِي وَلِي

سَنُعِيدُ صَرْحَ العِزِّ طَوْدًا شَامِخًا مَا أَحْقَرَ المَاضِي لَدَى المُسْتَقْبَلِ

مَنْ ذَا يُشَاكِلُ بَيْنَ قَلْبٍ خَافِقٍ بِدَمِ الحَيَاةِ وَبَيْنَ رِمَّةِ هَيْكَلِ[10]

ويبقى الشاعر المهجري "في دعوته إلى الوحدة العربية ونبذ الضغائن والأحقاد لم تفته الإشارة إلى أسباب التفرق والتصدع العربي كالتعصب المذهبي والطائفي"[11]، ولهذا كان من أساسيات تجسيد فكرة القومية العربية هو الدعوة لنبذ التعصب الديني باسم الطائفية والمذهبية الضيقة خاصة وأن الأوطان العربية لا تدين كلها بدين واحد وعليه لم يكن الدين عند المهجريين معيارا من معايير التغني بالقومية، بل قابل الشعراء الاختلاف الديني بفكرة التسامح الديني، وفكرة التآخي الديني، في الوقت الذي حذروا فيه من العواقب الوخيمة التي يجرها ذلك التعصب الديني، وهذا نص الأقنوم المهجري لنبذ التعصب الديني، جاء فيه:

يَا مُسْلِمُونَ وَيَا نَصَارَى دِينُكُم دِينُ العُرُوبَةِ وَاحِدٌ لا اثْنَانِ

بَيْرُوتُكُمْ كَدِمَشقِكُمْ وَدِمَشْقِكُم كَرِيَاضِكُم وَرَيَاضُكُمْ كَعُمَانِ

وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ كُلُّ غرٍّ جَاهِلٍ مَاذَا تُخْبِئُ هَدْأَةُ البُركَانِ[12]

ونعضد النص السابق بنص آخر للشاعر عقل الجر وهو يؤكد من خلاله على نبذ التعصب الديني باسم الفرقة الدينية والمذهبية الضيقة، واستغل الشاعر الفرصة للدعوة إلى تحقيق الوحدة بين أبناء الوطن الواحد وإن اختلفت مشاربهم ومنازعهم الدينية طالما أنه تبقى دوما هناك إمكانية التأسيس لحياة هانئة في إطار التعدد الديني، يقول عقل الجر في نصه:

بَنِي وَطَنِي كَمْ أَحْكَمَ النِّيرُ فِيكُم تَعَصُّبَكُمْ لِلدِّينِ وَالأَمْسُ شَاهِدُ

تَخَاصَمْتُمْ بِاسْمِ المَسِيحِ وَأَحْمَدَ عَلَى حِينٍ أَنَّ اللهَ لِلنَّاسِ وَاحِدُ

إِذَا لَمْ تَذُودُوا عَنْ سَمَاكُمْ وَأَرْضِكُم وَتَلْقَوا الرَّدَى مِنْ دُونِهَا وَتُجَاهِدُوا

أَبَحْتُم لِشُذَّاذِ الشُّعُوبِ دِيَارَكُم وَهَيْهَاتَ يُغْنِي هَيْكَلٌ وَمَساجِدُ[13]

ج-القضيّة الفلسطينيّة:

عالج شعراء الرابطة والعصبة في شعرهم القضية الفلسطينية وتعليل ذلك هو تبني المهجريين القضية الفلسطينية باسم العروبة، وإننا لنقرأ أبياتا شعرية نظمها حسني غراب وهو من العصبة في القضية الفلسطينية قائلا:

صَبْرًا فِلسْطِينُ صَبْرًا وَارْقُبِي فَرَجَا لا بُدَّ مِنْ عَجَبٍ يأتِي بِهِ رَجَبُ

وَالحَرْبُ آتِيَةٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَدَبٌ لِحَلِّ مَا عَجَزَتْ عَنْ حَلِّهِ الكُتُبُ

فَلْيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ النَّصْرِ مَا كَنَزُوا مِنَ السَّبَائِكِ حَتَّى يَنْفَدَ الذَّهَبُ

فَمَا فِلِسْطِينُ بِالحَوْضِ المُبَاحِ وَلا سُكَّانُهَا غَنَمٌ تُرْعَى وتُحتلَبُ

دُونَ العَرِينِ أُبَاةٌ كَاللُّيُوثِ لَهُم بِالسُّمْرِ وَالبِيضِ فِي جِدِّ الوَغَى لَعَبُ

قَوْمٌ إِذَا سُئِلُوا أَعْرَاضَهُم بَخِلُوا بِهَا وَإِنْ سُئِلُوا أَرْواحَهُم وَهَبُوا[14]

تتبع شعراء المهجر أخبار فلسطين المتعددة لتكون متن خطاباتهم، ومن تلك الأنباء التي كانت تنقلها الوسائط الإعلامية "ما كان يصل إلى مسامعهم.. عن.. وعد بلفور 1917، وثورة 1921 والثورات المتتابعة، والهجرة اليهودية، وإضراب 1936 الطويل"[15]، وأخبار أخرى منها حدث إحياء الذكرى الخامسة لإعدام الشهداء الثلاثة فؤاد حجازي، وعطا الزبير، ومحمد جمجوم فكانت مشاركة شعراء المهجر الحدث بالقصيدة الشعرية وعلى رأسهم الشاعر القروي، حيث تلا قصيدته المهجرية بهذه المناسبة على المسامع في تموز سنة 1935، ومما جاء فيها:

أَوْ مَا فِي العُرْبِ مِنْ قَرْمٍ عَنِيدِ يُنْقِذُ الأَحْرَارَ مِنْ كَيْدِ العَبِيدِ

يَا فِلِسْطِينُ انْدُبِينَا مَعَهُم فَلَكَم مَيِّتٍ وَكَمْ حَيٍّ شَهِيدِ

نالنَا في العيشِ أضعافُ الذي نالَ من تبْكِين في جَوْف اللحُودِ [16]

ومن الأحداث المتعلقة بفلسطين نكث الغرب لوعوده التي قطعها لفلسطين فرد المهجري على هذه الخيانة الغربية مؤكدا في الوقت عينه على عروبة فلسطين ولكن هذه المرة بصوت الشاعر المدني أخو القروي، حيث يقول:

سَقَيناكَ يَا غَرْبُ مَاءَ الحَيَاةِ فَكَانَ وَفَاؤُكَ نَفْثَ الحِمَمْ

تَعلَّمْتَ رَعْيَ النُّجُومِ وَفَاتَك أَنْ تَتَعَلَّمَ رَعْيَ الذِّمَمْ

سَنَنْتَ النُّيُوبَ كَأَنَّ فِلِسْطِيـ ـنَ مَرْعًى تُسَمَّنُ فِيهَا الغَنَمْ

وَإِنَّ فِلِسْطِينَ لِلعُرْب رُوحًا وَجِلْدَا وَلَحْمًا وَعَظْمًا وَدَمْ[17]

ولما قامت الثورة الفلسطينية سنة 1939م جارى بحماسة القروي الحدث ونظم في ذلك أبياتا، هي:

مَنْ لِعَرْضِ الحَقَائِقِ مِنْ أَخَادِيع فَاسِقِ

سَارِقٌ يُدرى بِهِ نِصْفُ مِلْيُون سَارِقِ

كَاشِرٍ للسَّلامِ عَنْ حَنَكٍ كَالجَوَالِقِ

في فلسطينَ آيَةٌ للرَّسولِ المُنافِقِ

سُجِّلتْ فِي صَحَائِفَ مِنْ قِتَامِ الحَرَائِقِ

رَتَّلتْهُنَّ لِلوَرَى فُوَّهَاتُ البَنَادِقِ[18]

2- التّجديد المهجريّ في البنية اللّغويّة:

تجلى التجديد الشعري المهجري على صعيد البنية اللغوية في عديد نقاط منها التعويل على إيحائية الألفاظ، وهي الدعوة التي ترسمها جبران خليل جبران في مقاله لكم لغتكم ولي لغتي حتى غدت هذه المقالة أقنوم المهجريين، وعن إيحائية اللغة يقول جبران: "لكم لغتكم ولي لغتي. لكم منها الألفاظ وترتيبها، ولي منها ما تومئ إليه الألفاظ ولا تلمسه ويصبو إليه الترتيب ولا يبلغه"[19]، لقد رقى الشاعر المهجري بالقصيدة فتجاوز بها حدود الدلالة الحرفية إلى الدلالة الإيحائية، وهنا تكمن شاعرية الشاعر في التلاعب بالوحدات اللغوية داخل النسيج النصي حيث تمارس الوحدات اللغوي الشعرية البوح واللابوح في آن واحد فتبقي لنفسها دلالتها الأصل وهي دلالة ذات طبيعة معجمية تعارف وتواضع عليها أبناء المجموعة اللغوية الواحدة، وفي الوقت ذاته تغلف تلك الألفاظ عينها بهالة من المعاني الحافة وهي إيحائية وبذلك نجدها تقول ولا تقول في آن واحد. وفي الأقنوم ذاته هناك مقولة أخرى جبرانية مفادها الدعوة إلى التخلي عن قاموس امرئ القيس، ولذا دعا جبران إلى بديل معجم الحياة اليومي حيث يحاك النسيج الشعري من الألفاظ التي يستعملها الناس في حياتهم اليومية مما يجعل اللغة مفهومة، ومأنوسة ونص جبران خير دليل على ذلك حيث يقول: "لكم لغتكم ولي لغتي..، لكم منها القواميس والمعجمات..، ولي ما غربلته الأذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم"[20]، ويقرأ عبد الدايم مقولة استخدام معجم الحياة اليومي، فهو يرى بأن ذلك لا يسمح للغة بأن "تأتي غريبة عن البيئة التي يعايشها الشاعر..، والأديب الصادق المبتكر هو الذي يطوع مفردات اللغة التي يستعملها أبناء جيله للتعبير عن مشاعره مع المحافظة على سلامتها من اللحن أو ميلها إلى إلى الابتذال"[21]، إذا كان هذا الطرح الجبراني فإن ميخائيل نعيمة في زاوية أخرى من الطرح يطل علينا ببديل استخدام العامية وما تبعه من خلخلة لنظام اللغة العربية وكسر لقواعدها وقد أثار هذا الطرح جدلا كبيرا بين المهجريين حتى أصبح هذا العنصر يصنع الفارق بين الرابطة والعصبة فقد "صار شعراء الرابطة القلمية أكثر حرية في اللغة، و تجديدا في الألفاظ..، من حيث وقف شعراء المهجر الجنوبي عند حدود المحافظة على اللغة"[22]. وأمام هذا الوضع التجديدي الذي صنعه المهجر الشمالي "صمم أعضاء العصبة الأندلسية على السير على أساليب اللغة العربية الفصحى ترفعا بها عن العامية"[23]، ويؤكد هذا الثبات من زاوية

أخرى عبد المنعم خفاجي بقوله: "العصبة.. ترسموا أساليب الفصحى وتقيدوا بأحكامها ما وجدوا في ذلك سبيلا، كما أنهم جالوا في مضمار التجديد صامدين بأدبهم دون فوضى التجديد"[24].

3- التّجديد المهجريّ والرّمز:

استخدم مهجريو الشمال والجنوب الرمز في الخطاب الشعري فكان وسيلتهم للتعبير عما ما يريدونه من معاني على مدار النسيج الشعري للنص، وهذا الأخير يعد واحدا "من أدوات التعبير التي تهب العمل الفني الجودة والوحدة الفنية وكثافة المعنى"[25]، وهذا الذي ثبتته بعض الدراسات العربية حيث ذكرت بأن هناك قصائد حوت الرمز مع تقديم قراءات لتلك الرموز ومنها "قصيدة البلاد المحجوبة لجبران خليل جبران التي ترمز إلى العالم المثالي الأفضل الذي تطمح إليه البشرية، وقصيدة التينة الحمقاء لإيليا أبي ماضي التي ترمز لمن يبخل بخيره على الناس فيضيقون به ولا يكون له وجود بينهم من خلال الحديث عن تينة بخلت بظلها وثمرها على من حولها وأرادت أن تقصر خيرها على نفسها فقط فحرمت الثمر وضاق بها صاحبها فاقتلعها وأحرقها"[26]، ويستمر العطاء بالرمز مع إيليا ولكن هذه المرة من خلال الحجر الصغير، قصيدة الطين.. وغيرها من روائع إيليا الشعرية، كما نقرأ الرمز عند ميخائيل نعيمة وقصيدته النهر المتجمد خير دليل على ذلك، ومن الرمز في الشعر المهجري نذكر قصيدة الحجر الصغير لإيليا .

4- التّجديد الشّعريّ المهجريّ على مستوى البنية الموسيقيّة:

مس التجديد المهجري البنية الموسيقية وعلى مستويات متباينة وعديدة منها التجديد في الروي وذلك بعدم الثبات عليه على مدار القصيدة كلها وبهذا يصبح النص الشعري الواحد مبنيا على أكثر من روي، وإن بحثنا عن تعليل هذه الرؤيا التجديدية نقول بأنه يمكننا أن نقرأ عن ذلك في كتابات ميخائيل نعيمة الذي يعد واحدا من أبرز من دعا إلى التجديد الموسيقي في القصيدة الحديثة، حيث يقول في مدونته الغربال: "الشاعر.. يصوغ أفكاره وعواطفه في كلام موزون منتظم. الوزن ضروري أما القافية فليست من ضروريات الشعر لا سيما إذا كانت كالقافية العربية بروي واحد يلزمها في كل القصيدة..، ولكن سواء وافقنا والت هويتمان وأتباعه أم لا فلا مناص لنا من الاعتراف بأن القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد نربط به قرائح شعرائنا وقد حان تحطيمه من زمان"[27]، وفي حالة عدم الثبات على الروي فإن نعيمة يرى بأن الذي ينوب عن ذلك الغياب هو الانسجام بين الأصوات وعن هذا يقول نعيمة في عنصر حاجتنا إلى الموسيقى: "ففي الروح ميل عجيب إلى الأصوات والألحان لا ندرك كنهه فهي تهتز لقصف الرعد ولخرير الماء ولحفيف

الأوراق، لكنها تتكمش من الأصوات المتنافرة وتأنس وتنبسط بما تآلف منها"[28]، ومن القصائد المهجرية التي ندلل بها على التغيير في الروي مقطع نستله من النسيج الشعري لقصيدة جبران خليل جبران من ديوانه المواكب، مع الإشارة إلى أن جبران استخدم فيها رويين هما الراء والعين، يقول الشاعر:

الخَيْرُ فِي النَّاسِ مَصْنُوعٌ إِذَا جُبِرُوا وَالشَّرُّ فِي النَّاسِ لا يَفْنَى وَإِنْ قُبِرُوا

وَأَكْثَرُ النَّاسِ آلاتٌ تُحَرِّكُهَا أَصَابِعُ الدَّهْرِ يَوْمًا ثُمَّ تَنْكَسِرُ

فَأَفْضَلُ النَّاسِ قُطْعَانٌ يَسِيرُ بِهَا صَوْتُ الرُّعَاةِ وَمَنْ لَمْ يَمْشِ يَنْدَثِرُ

خُلِقَ النَّاسُ عَبِيدًا لِلذِي يَأْبَى الخُضُوعْ

فَإِذَا مَا هَبَّ يَوْمًا سَائِرًا سَارَ الجَمِيعْ [29]

إن تعويل المهجريين على عدم الثبات على روي واحد في كل القصيدة أفضى بدوره إلى إنتاجية أنماط شعرية منوعة، وبيان هذه الأنماط الشعرية يوضحه مراد محمد نعيمة، حيث يرى أن تجديد المهجريين قائم "على التلاعب بالقوافي كأن يقسم الشاعر قصيدته إلى مجموعات تحمل كل مجموعة منها قافية مخالفة للمجموعات الأخرى، وهذه المجموعات تضم بيتين أو ثلاثة أو أربعة ونحو ذلك، ومن هنا تظهر الثنائيات أو المزدوجات، والثلاثيات، والرباعيات، والخماسيات، وما شابه ذلك"[30]، وفي هذه النقطة بالذات سنقف قليلا عند الرباعيات ونستشهد في هذا السياق برباعيات نسيب عريضة، يقول الشاعر:

شَرِبْتُ كَأْسِي أَمَامَ نَفْسِي وَقُلْتُ يَا نَفْسُ مَا المُرَامْ

حَيَاةُ شَكٍّ وَمَوْتِ شَكٍّ فَانْغَمَرَ الشَّكُّ بِالمُدَامْ

آمَالُنَا شَعْشَعَتْ فَغَابَتْ كَالآلِ أَبْقَى لَنَا الأَوَامْ

لا بَأْسَ لَيْسَ الحَيَاةُ إِلا مَرْحَلَةً بَدْؤُهَا خِتَامْ

كَمْ دَوْحَةٌ لا يَبِينُ مِنْهَا إِلا قَلِيلٌ مِنَ الكَثِيرْ

فُرُوعُهَا والغُصُونَ جُزْءٌ بَدَا وَلَكِنَّهُ حَقِيرْ

وَتَحْتَ سَطْحِ الثَّرَى أُصُولٌ مَحْجُوبَةٌ حَجْمُهَا وَفِيرْ

فِيهَا حَيَاةُ الغُصُونِ لَكِنْ لَدَى الوَرَى شَأْنُهَا صَغِيرْ [31]

إن بناء النص الشعري بدون روي أفضى إلى ما يطلق عليه الدارسون المعاصرون سمية قصيدة النثر في حين أن الشعراء المهجر لم يعطوها مسمى في الأصل، وفي هذا يقول خليل ابراهيم: "وقد كتب المهجريون في زمن مبكر شعرا متحررا من القافية وكأنما لم تكفهم ظاهرة التعدد في قوافي القصيدة..، فكتبوا شعرا منثورا"[32]. ومن الشعراء المجددين ضمن قصيدة النثر وقد عددهم خليل ابراهيم في دراسته جبران خليل جبران في رثاء أستاذه، وميخائيل نعيمة الذي "كتب عددا من المقطوعات النثرية التي تشبه الشعر وسلكها في ديوانه من غير أن يسميها نثرا أو شعرا، وضمّن رشيد أيوب ديوانه أغاني الدرويش بعض المقطوعات النثرية، وممن كتبوا هذا الشعر أمين الريحاني في كتابه هتاف الأودية، وذلك شيء جديد، صحيح أنه لم يحظ بالقبول من لدن الأوساط الأدبية في المشرق العربي وهاجمه عديدون بيد أن هذه البدايات المبكرة استندت إليها أصوات متأخرة جدا ظهرت في خمسينات القرن الماضي لإضفاء الشرعية على محاولاتها في كتابة قصيدة النثر"[33].

وفي ختام ورقة الحركة الشعرية المهجرية، يمكننا القول إن هذه الأخيرة قد شكلت في تاريخ الحركة الشعرية حلقة من حلقات الشعر العربي الحديث، اتسمت بالتجديد الخاضع لأسيقة البيئة العربية والمهجرية فشكلت أنساقا شعرية مهجرية مخصوصة، على مستوى الثيمات واللغة والموسيقى، وستبقى لبنة مهمة تضاف لتاريخ الحركة الشعرية العربية خصوصا والأدبية عموما.